

محاضرات في "المدخل إلى علوم الإعلام والاتصال -1"

الأنظمة الإعلامية

يشير مفهوم النظام الإعلامي إلى الطريقة التي يتم بها تنظيم العملية الإعلامية وكيفية سيرورتها؛ من نواح عدة على غرار نمط ملكية المؤسسات الإعلامية وطبيعة العلاقة القائمة بين النظام الحاكم ومختلف مؤسسات الإعلام والقوانين المنظمة للمهنة الإعلامية و هامش الحرية المتاحة.... و تنظيم العملية يتعلق بدرجة كبيرة بالوعاء الفكري المنظم لها والممثل في نظريات الإعلام الأربع: نظرية السلطة والنظرية الليبرالية (نظرية الحرية) النظرية الاشتراكية ونظرية المسؤولية الاجتماعية، إضافة إلى نظرية الإعلام الإسلامي.

أوجز كل من فرد سيبارث (Fred Siebert) وتيودور بترسون (Theodore Peterson) وولبور شرام (Willbur Schramm) نظريات الإعلام في كتابهم: "أربع نظريات للصحافة" سنة 1956 (الجردي، 1985 ص71).

أولا النظام الإعلامي السلطوي: يقوم على:

1-1 نظرية السلطة:

2 سادت هذه النظرية غرب أوروبا منذ نهاية القرن السادس عشر وإلى غاية قيام الثورة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر في ظل نظام حكم استبدادي ومطلق، حيث كانت السلطة مركزة في شخص واحد أو هيئة واحدة، ومن هنا يقوم البناء النظري للنظام السلطوي للصحافة على أساس جعل الصحافة في خدمة السلطة الحاكمة (فاروق أبو زيد، ص88)، التي تهدف إلى المحافظة على وحدة الفكر بين أعضائها واستمرار الأوضاع على ما هي عليه وثبات القيادة السياسية، ولهذا فالمجتمع يستخدم أدوات الإقناع والضغط التي يملكها ليحقق هذا هدف خدمة مصالح السلطات وإلا تتوقف عن الصدور (رشتي، ص88). ويمكننا أن نصف خصائص النظام الصحفي السلطوي في المحددات الآتية:

3 1-1 ملكية المؤسسات الإعلامية:

4 يسمح للأفراد بامتلاك الصحف إلى جانب الحكومة وهو ما يمكن أن نطلق عليه أسلوب: "الملكية المختلطة".

5 2-1 طرق إصدار المؤسسات الإعلامية:

6 يشترط الحصول على ترخيص من الحكومة.

7 3-1 التأمين المالي:

8 يشترط دفع تأمين مالي قبل الإصدار.

9 4-1 حق ممارسة العمل الصحفي:

10 يشترط حصول المواطن على ترخيص من السلطة للعمل في الصحافة.

- 11 5-1 الجزاءات والعقوبات الصحفية:
- 12 للسلطات الإدارية حق توقيع العقوبات على الصحف بما في ذلك حق تعطيلها أو إلغائها.
- 13 6-1 الرقابة على الصحف.
- 14 كما أن للسلطة الحق في فرض الرقابة. (رشتي ، دس، ص89)
- 15 7-1 حق نقد نظام الحكم ورئيس الدولة:
- 16 لا يحق للصحف في ظل النظام السلطوي بنقد نظام الحكم أو رئيس الدولة (فاروق أبو زيد، 1986، ص 90) فحرية الصحافة في ظل هذه النظرية توجد بالقدر الذي تسمح به القيادة الوطنية.
- 17 ويجدر بالذكر أن هذه الفلسفة الصحفية لا تزال الأساس لكثير من أنظمة الصحافة في العالم (ميرل & لوينشتاين، دس، ص237) بصورة معدلة لاسيما دول العالم الثالث في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية(أبوزيد فاروق، 1986، ص89).

ثانيا النظام الإعلامي الليبرالي:

-النظرية الليبرالية أو نظرية الحرية:

ظهرت هذه النظرية نتيجة جملة من الظروف تمثلت في تطور الديمقراطية السياسية، وانتعاش الاقتصاد بسبب اتساع نطاق التجارة والرحلات، وسيادة مبدأ الحرية الاقتصادية، ما جعل الجماهير ترفض نظرية السلطة، وأتاح الفرصة لظهور نظرية جديدة أخذت تكافح للظهور في أواخر القرن السابع عشر، وأصبحت حقيقة في القرن الثامن عشر، وازدهرت في القرن التاسع عشر وهي نظرية الحرية التي مهدت لها كتابات الفلاسفة أمثال ديكارت وجون لوك وجون ستيوارت مل (جيهان رشتي، دس، ص89) وجيفرسون الذين أكدوا على الحريات الفردية، وكانت لديهم الثقة في أنه بمقدور الناس اتخاذ قرارات صائبة إذا كانت هناك حرية للتعبير، ونظريا فإن الصحافة الحرة تعمل على كشف الحقيقة، ولا يمكنها أن تقوم بذلك إذا كانت مراقبة بواسطة سلطة خارج نفسها (ميرل & لوينشتاين، ص237)، ولهذا لا ينبغي لحرية الصحافة أن تترك للحكومة لكي تتحكم فيها، بل يجب أن تكون الصحافة حرة لكي تستطيع تقديم الأدلة والحجج التي يستطيع بمقتضاها الأفراد مراقبة الحكومة واتخاذ قرارات على سياستها، لهذا فمن الضروري ألا تخضع الصحافة للسيطرة الحكومية (رشتي، دس، ص90).

ويمكن توصيف خصائص النظام في ظل النظرية الليبرالية في جملة من المحددات أولاها أنه يسمح بالملكية الفردية للصحف، وإصدارها غير مشروط بترخيص أو إخطار، كما لا يشترط دفع أي تأمين مادي قبل الإصدار أو بعده، وللمواطن الحق في ممارسة العمل الصحفي بغير شروط حتى إذا صدر منه ما يوجب العقوبة فإن توقيع الجزاءات والعقوبات من حق القضاء وحده، كما لا يحق لأي سلطة في المجتمع ومن بنيتها السلطة القضائية تعطيل أو إلغاء الصحف (فاروق أبو زيد، 1986، ص 96-97).

ثالثا النظام الإعلامي الاشتراكي:

النظرية الاشتراكية:

ظهرت في الربع الأول من القرن العشرين وتسمى كذلك بالنظرية الاشتراكية والسوفييتية، ويعتبر كارل ماركس الأب الشرعي لها، متأثرا بفلسفة زميله الألماني جورج هيغل (جون ميرل، رالف لوينشتاين، دس، ص 237-238). يعتبرها معارضوها صورة جديدة من صور النظرية السلطوية، بينما ينظر إليها مؤيدوها على أنها تضع الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى في موقع الكفاح لتقدم الشعب ورعاية مبادئه.

تعتبر النظرية الشيوعية الصحافة كأداة من أدوات قوة ونفوذ الدولة التي تستخدمها للإخبار والإعلام والدعاية، كما تنظر إلى الحرية على أساس أن تقول الصحافة ما يدرك النظام أنه حقيقة، وهو ما يعني أن الحرية هي حرية الدولة وأن تخدم الصحافة النظام الاشتراكي (حمادة، دس، ص 167-168)؛ وأن لا يسمح بالحرية لأولئك الذين يرغبون في مناقشة المبادئ الأساسية، فوسائل الإعلام تستطيع أن تنتقد الجزئيات والأمور الفرعية أو انحراف الأفراد، ولكنها لا تستطيع مهاجمة مبادئ المجتمع الأساسية (رشتي، دس، ص 94).

ويمكن أن نحدد خصائص النظام الصحفي الاشتراكي في الآتي:

4-1 ملكية الصحف: يسمح بالملكية العامة وتمنع الملكية الخاصة.

4-2 طرق إصدار الصحف: يشترط الحصول على ترخيص من الحكومة أو الحزب.

4-3 التأمين المادي: لا يشترط دفع التأمين المالي.

4-4 حق الممارسة العمل الصحفي: يشترط -في ظل النظرية الشيوعية- حصول المواطن على ترخيص من الحكومة أو الحزب للعمل في الصحافة.

4-5 الجزاءات الصحفية: يحق للسلطات الإدارية توقيع بعض العقوبات بينما يكون

البعض الآخر من حق السلطات القضائية وحدها. ولا يكون إلغاء الصحف أو تعطيلها إلا من حق الحكومة أو الحزب.

4-6 الرقابة على الصحف: الرقابة مفروضة على الصحف من طرف الحكومة أو الحزب.

4-7 حق نقد رئيس الدولة ونظام الحكم: لا يحق للصحف نقد رئيس الدولة أو نظام الحكم (أبوزيد فاروق، 1986، ص99-100).

رابعاً النظام الإعلامي القائم على نظرية المسؤولية الاجتماعية:

نظرية المسؤولية الاجتماعية:

أدخلت التطورات الاقتصادية والتكنولوجية التي شهدتها القرن العشرون، عنصر الضخامة على وسائل الإعلام مما جعل ملكيتها وإدارتها يتطلب مبالغ كبيرة جداً، بحيث أضحى من الصعب على أي فرد أن يدخل ميدان النشر، أي أن الصحافة عادت، احتكاراً في أيدي الأقلية القوية، كما كان الحال في ظل نظرية السلطة، بفارق أن حكام الصحافة الجدد ليسوا في الغالب حكاماً سياسيين، غير أنهم أقلية صغيرة تنتمي إلى الطبقة العليا وتسيطر على الصحافة، الأمر الذي جعل عالم الأفكار الحرة لا وجود له على أرض الواقع، وجعل هذه الأقلية تتمتع بسلطات كبيرة قد لا تستخدمها في صالح المجتمع، وقد لا تعبر بالضرورة عن رأي الأكثرية بدليل أن الشعب الأمريكي انتخب أكثر من مرة للرئاسة مرشح الحزب الذي عارضته الصحافة.

هذه العوامل دفعت بالكثير من رجال الإعلام الأمريكيين إلى عقد لجنة حرية الإعلام سنة 1947 برئاسة هوتشينز (Hutchens)، وهي اللجنة التي عكست ما عرف بعد ذلك بنظرية المسؤولية الاجتماعية (رشتي، دس، ص91-97) التي جاءت كرد عن نظرية الحرية، وتعني الجمع بين الالتزام بالحرية من ناحية والالتزام بالمسؤولية الاجتماعية من ناحية أخرى، ويمكن أن نلخص هذا المفهوم في مبدئين هما:

الأول: ضرورة وجود التزام من جانب الصحافة بمجموعة من المبادئ الأخلاقية، الهدف منها إقامة توازن بين حرية الفرد من ناحية ومصالح المجتمع من ناحية أخرى، وبعبارة أخرى لا بد من وجود "الحرية المسؤولة" بخضوع الصحافة لرقابة الرأي العام عن طريق مبادئ الشرف الصحفية.

الثاني: أن للصحافة وظيفة اجتماعية وهي تقديم البيانات عن الأحداث الجارية فمن ناحية لا يجب حجب المعلومات عن القراء بحجة حمايتهم من الأفكار المعارضة للسلطة القائمة في المجتمع، كما لا يجب حجب المعلومات بحجة أنها لا تثير انتباه القراء أو اهتمامهم (فاروق أبو زيد، 1986، ص96-97).

يرى رالف لونشتاين أن النظريات الأربع تفتقر إلى المرونة اللازمة لوصف وتحليل كل أنظمة الصحافة الموجودة اليوم (ميرل ولونشتاين، دس، ص239)، وترى عواطف عبد الرحمن أن النظريات (باستثناء النظرية الاشتراكية) تعكس التطور التاريخي للعلاقة بين الصحافة والسلطة السياسية في المجتمعات الغربية مركزة على هذا المتغير، إضافة إلى المتغير الاقتصادي الذي يحدد نمط الملكية، كما أن هذه النظريات استمدت دعائمها الفلسفية من التراث النظري للفكر الديمقراطي في أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية (عواطف عبد الرحمن، 1985، ص239).

خامسا النظام الإعلامي العربي والإسلامي:

سادت بلدان العالم العربي النظريات الإعلامية الأربع السابقة الذكر مع بعض الخصوصية التي تشهدها هذه الدول إضافة إلى نظرية الإعلام الإسلامي.

نظرية الإعلام الإسلامي:

ينبغي في هذا الصدد أن نفرّق بين مصطلحين متجاورين من المصطلحات التي تتصل اتصالاً وثيقاً بالرسالة الدينية الإسلامية وهما: الإعلام الإسلامي والإعلام الديني. فهذا محمد منير حجاب يعرف الإعلام الإسلامي فيقول: «هو الإعلام الذي يعكس الروح والمبادئ والقيم الإسلامية، ويمارس في مجتمع إسلامي، ويتناول المعلومات والحقائق والأخبار المتعلقة بكافة نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية والأخلاقية»⁽¹⁾.

ويتحدث محمد سيد محمد عن طبيعة الإعلام الإسلامي الذي يعكس الإطار الاجتماعي الذي يعمل في ظله فيقول أن: «المجتمع الإسلامي الذي يطبق الشريعة الإسلامية مجتمع شمولي من حيث العقيدة ومتكامل من حيث التنظيم، والإعلام فيه لا بد وأن يعكس شمول العقيدة وتكامل البناء الاجتماعي، ومن ثم فإن كل شيء فيه إسلامي بدءاً من المرح والمزاح والتسلية إلى مواجهة الموت والكوارث والإعلام في هذه الحالة إسلامي في صدق أخباره، وإسلامي في تعليمه وإسلامي في شرح الأخبار وتفسيرها»⁽²⁾.

ويعرفه علي حسين مصطفى بأنه: «كل ما اختص بتزويد الناس بالمعلومات الصحيحة والأخبار الصادقة مشتملاً على جميع أنشطة الإعلام في المجتمع الإسلامي مؤدياً جميع

(1) - الإعلام الإسلامي: المبادئ النظرية التطبيق، ط1، دار الفجر الجديد، القاهرة، 2002، ص:24.

(2) - محمد سيد محمد: «الإعلام الإسلامي»، الأمة، ع58، قطر، 1405هـ، ص:78.

وظائفه من تثقيف وترويح وإرشاد وإخبار وتعليم ملتزما في ذلك بمبادئ الإسلام في جميع عملياته ومراحله وأهدافه ووسائله»⁽³⁾.

وعليه فإن مصطلح الإعلام الديني جزء من الإعلام الإسلامي نظرا لتعلقه بأركان خاصة من وسائل الإعلام ولأنه يشغل حيزا منها دون أن يمثل مدرسة أو رؤية محددة مستندة إلى مرجعية خاصة في مجال الإعلام، وهو يشمل:

- الصفحات الدينية في بعض الجرائد اليومية والأبواب الثابتة فيها.

- البرامج الدينية في الراديو والتلفزيون.

— المواد الإعلامية التي تعكس صورا من الثقافة الإسلامية مثل: المسلسلات والبرامج الدينية ذات الطابع الثقافي.

— المواد الإعلامية لشهر رمضان والأعياد والمواسم وقرآن الافتتاح والختام في الراديو والتلفزيون.

- الأفلام التسجيلية عن الآثار الإسلامية والأحكام الشرعية مثل التي تقدم مناسك الحج⁽⁴⁾.

أما الإعلام الإسلامي فنقصد به الإعلام الذي يغطي كل الأبواب سواء ورد في الوسائل الإعلامية المطبوعة أو الوسائل السمعية أو السمعية البصرية، مؤديا جميع وظائف الإعلام من تثقيف وترويح وإرشاد وإخبار وتعليم ملتزما بمبادئ الإسلام في ذلك على غرار المجالات الأسبوعية الإسلامية المتخصصة والقنوات الفضائية الإسلامية، والتي تهتم بنشر أحكام ومبادئ الإسلام وتبث برامج ثقافية واجتماعية واقتصادية مستندة إلى مرجعية إسلامية.

(3) - الإذاعة المدرسية والإعلام الديني، دار قباء، القاهرة، 2003، ص: 72.

(4) - محمد سيد محمد: مرجع سابق، ص: 78، 79.